

مقاربة سوسيولوجية لظاهرة اعتناق الإسلام في الدول الغربية

د. ابراهيم بوالفلفل

جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل -

الملخص:

تهدف هذه الورقة العلمية الى تقصي واقع اعتناق الإسلام في الدول الغربية حيث عرفت هذه المجتمعات تزايدا مضطردا في نسب المسلمين الجدد أو الوافدين الجدد على اعتناق الدين الإسلامي من هنا سنحاول قراءة بعض الأسباب والدوافع الكامنة وراء هذا التزايد وكذا سنسعى من خلال هذه الدراسة الى رسم ملامح للفئات الأكثر إقبالا على الدين الإسلامي وإلقاء الضوء على بعض خصائص الدين الإسلامي التي يجذب من خلالها الغربيون وتدفعهم إلى ترك دينهم واعتناق الإسلام، وأسباب انزلاق بعضهم إلى التطرف والعنف.

Abstract :

The aim of this paper is to investigate the reality of conversion to Islam in Western countries. These societies have known a steady increase in the proportions of new Muslims. we will try to highlighting reasons and motives behind this increase, We will also seek through this study to draw a profile for the persons who convert to Islam and shed light on Islamic religion's characteristics which attract Westerners ,and motivate them to embrace Islam , and the reasons for involving in extremism and violence for some of them.

مقدمة:

عرف العالم نسبا متزايدة لمعتنقي الديانة الإسلامية خاصة في السنوات الأخيرة ، حيث يعتبر الدين الإسلامي الأكثر انتشارا بين الغربيين مقارنة بباقي الديانات الأخرى سواء السماوية أو الوضعية، ويرجع التزايد المضطرد لأعداد الوافدين الجدد على اعتناق الدين الإسلامي للعديد من الأسباب منها ما هو كامن في الدين في حد ذاته، ومنها ما هو راجع إلى الظروف المحيطة والتي تساهم في التعريف به أو جلب الانتباه له وذلك من خلال وقوع أحداث تنسب للمسلمين أو إساءات للدين الإسلامي من طرف متطرفين من الديانات الأخرى، الأمر الذي يدفع نسبة لا بأس بها من الغربيين الذين يريدون الإطلاع على هذا الدين من مصادر محايدة بعيدا عن الدعاية المغرضة لبعض وسائل الإعلام، والتي تسوق لما يعرف بالإسلام فويا إلى اعتناقه بعد اقتناعهم به، من

هنا سوف نركز في هذه المداخلة على التعرف على مفهوم التحول الديني أو اعتناق الإسلام وسياقه التاريخي والمجالي وكذا أنواعه والدوافع والأسباب المؤدية بالغربيين لاعتناق الإسلام، بالإضافة إلى محاولة تتبع بعض المؤشرات الكمية الخاصة بمعتنقي الديانة الإسلامية من الغربيين ومحاولة رسم خريطة انتشار الدين الإسلامي في بعض الدول الغربية وكذا الفئات الأكثر إقبالا على اعتناقه، أي ما هي النقاط التي يجذب من خلالها الغربي وتدفعه إلى ترك دينه وإتباع الدين الإسلامي؟

ماهية اعتناق الإسلام (التحول الديني):

يعتبر تحديد مفهوم التحول إلى الإسلام أو أي دين آخر أول مشكل تواجهه أية دراسة حول هذه الظاهرة، حيث يرى صلاح عبد الرزاق أن مصطلح التحول يبقى مصطلحا شاملا للتغير الديني ويتضمن تحول عنيف من حالة سابقة، ويرى كذلك أن التحول الديني هو قضية تغيير عقيدة أو إيمان بدلا عن الدين السابق.²³

ويتفق أغلب الباحثين في هذا الموضوع على أن التحول الديني فعل اجتماعي يغير مجموع العلاقات الاجتماعية، ويؤثر على العلاقة بالهوية والجماعة والبنية الاجتماعية.²⁴

فالتحول الديني يقتضي تغيير نسق القيم وكذا رؤية العالم، على اعتبار أن رؤية العالم والنسق القيمي القديمين خاطئين في حين الرؤية والنسق القيمي الجديدين صحيحين.²⁵ وتشير "بريجيت فلوري" Brigitte Fleury إلى أن الأشخاص لا يتحولون فقط عن طريق الاتصال بالآخرين، أو عن طريق قراءة الكتاب المقدس، من أجل تحقيق تغير بهذا القدر على الشخص أن يدرك في علاقاته مع أقربائه صعوبات في التفاهم حول معاني المصطلحات المتبادلة، هذه الوضعية قد تحفز في هذا الشخص إرادة أو رغبة التفاهم مع أشخاص آخرين لديهم نظرة مغايرة عن العالم.²⁶

وهنا يرى لويس رامبو أن للدين دور أساسي في الاعتناق : "الدين والروحيات هامة في عملية الاعتناق لسببين. الأول أن الأديان والمعتقدات تزود أتباعها بأنماط وخطوط هداية أو عقائد قابلة للتحول نحوها. ففي كل التعاليم هناك الاعتناق الحسن والاعتناق القبيح أو الاعتناق الصحيح والاعتناق الخطأ. وهناك شعائر معينة مطلوبة، ودوافع مقيمة، وعقائد متوقعة، ونتائج مكتسبة. إذا طبيعة اعتناق الشخص تتشكل وتبنى بواسطة الأساطير والطقوس والرموز لديانة معينة".²⁷

وترى جيرالدين موسيير Mossière.G أن الانجذاب نحو الإسلام في الكيبك هو جزء من استعادة المعنى... ويحيي إذن العودة إلى التضامن المجتمعي، بعد مرحلة من التحديث والعلمنة المتسارعة²⁸، فالمرأة الغربية المعتنقة للإسلام تبحث عن استعادة معنى وجودها و الغاية من حياتها والعودة إلى أشكال التضامن المجتمعي التي كانت سائدة في المجتمعات الأوروبية من قبل، ولقد وجدتهما في هذا الدين، وأما في فرنسا فيبرز من خلال اعتناق الإسلام اتجاه نقدي لكل ماهو تمييز اجتماعي كما يعبر عن طريقة للانتماء إلى فئة المحرومين²⁹.

في سياق آخر يعترض بعض المسلمين الغربيين على لفظة اعتناق ويفترضون استخدام بدلها لفظة « العودة» إلى الإسلام لأنهم يعتقدون أنهم رجعوا إلى الحالة الإنسانية الأصلية.

من هنا نستخلص أن التحول من ديانة إلى أخرى فعل اجتماعي يحمل معاني مختلفة حسب السياقات الاجتماعية والثقافية والتاريخية وحتى المحلية التي يحدث فيها وهو عملية تراكمية وتفاعلية مركبة، إذ لا يوجد عامل واحد فقط يؤدي إلى اعتناق دين آخر، بل تشترك مجموعة من العوامل في ذلك.

- السياق التاريخي والمجالي لاعتناق الإسلام:

إن التواصل بين المسلمين والغربيين يعود إلى تاريخ طويل من الحروب الصليبية والغزو والتبادل الثقافي والتجاري، وكذا الاستعمار وبعدها الامبريالية، والذي يتواصل في وقتنا المعاصر بطريقة أخرى عبر تسارع وتيرة الهجرة بين الدول العربية والإسلامية اتجاه المجتمعات الغربية، وبالرغم من أن هذا التلاقي قد طبعه بصفة عامة الطابع الصراعي، والذي ترسخ في المخيال الجماعي، فإنه في المقابل قد حفز وخلق حركة تحول أواسط الغربيين نحو الدين الإسلامي، فما نشاهده حاليا من حركات اعتناق الإسلام كانت لها العديد من السوابق³⁰.

إن اعتناق الإسلام قد أخذ تاريخيا عدة أشكال، والتي كانت في البداية ناتجة عن الفتوحات الإسلامية والتي انطلقت من شبه الجزيرة العربية إلى محيط البحر المتوسط وإفريقيا من الغرب إلى الشرق واتجاه آسيا من الجنوب إلى غاية إندونيسيا في الغرب³¹.

وفي نفس الفترة ساهمت التبادلات التجارية والاقتصادية والثقافية ونشرت عناصر هوياتية ومن بينها شريعة الإسلام.

أنواع التحول الديني:

يقسم ستيفانو اليفي التحول إلى الإسلام إلى صنفين بناء على معلومات جمعها من دراسة ميدانية أجراها بايطاليا ميز فيها بين نوعين من الاعتناق هما³²: الاعتناق العلاقي والاعتناق العقلائي أما النوع الأول العلاقي: يحدث نتيجة علاقات اجتماعية تهيئ فرصا تجعل الشخص المستعد يفكر في تغيير دينه، إذ هناك علاقة اجتماعية معينة تمنحه خبرات جديدة تقوده فيما بعد إلى اعتناق الإسلام كحالة رجل يرغب في الزواج من امرأة مسلمة حيث يتحتم عليه الدخول في الإسلام لإتمام الزواج، وكذا الاعتناق لأسباب مهنية في بعض الأحيان. بالمقابل يعتبر الاعتناق العقلائي مسألة فردية بحثة فهو نتيجة لبحث داخلي يريد من خلاله الشخص الوصول إلى نظام جديد قادر على الاستجابة لمتطلباته وحاجته الدينية (الروحية، الصوفية).

وهذا النوع يرتبط بالأشخاص المثقفين الباحثين عن المعنى أو المناضلون اليساريون أو اليمينيون ففي حين تسود عواطف المساواة والعالم ثلثية، بالإضافة إلى روح المعاش النضالي والإقلياتي عند المناضلين اليساريين فإن مناضلي اليمين يتميزون بروح "التسلط" و"الدوغمائية" واعتناق الإسلام يسمح لهم بإعادة التفاوض على أدوارهم السياسية والقيادية³³.

- كما يفرق (Langewiesche) بين اعتناق ديانة الأغلبية، واعتناق ديانة الأقلية واعتناق دين الأجداد³⁴.

وحسب عالم الاجتماع (Hervieu- léger) هارفيو ليحي يوجد ثلاث حالات للتحول الديني:

- تتعلق الحالة الأولى بالفرد الذي يغير ديانته بديانة أخرى، أما الحالة الثانية فتتعلق بالفرد الذي لم يسبق له أن انتمى إلى ديانة، والحالة الثالثة تخص الشخص الذي يعيد الانخراط في ديانته السابقة أو ما يسمى بالتحول من الداخل والذي يعتبر تفعيل لهوية دينية كان الانتماء إليها بصورة شكلية فقط إلى حد الآن³⁵.

- إن التنوع والاختلاف في المقاربات يعود إلى تباين واختلاف التخصصات التي اهتمت بدراسة هذه الظاهرة سواء كانوا مؤرخين، علماء اجتماع أو علماء نفس و انتربولوجيون فكل يتناول الموضوع من وجهة نظر تخصصه، ومن زوايا وأبعاد تختلف عن الزوايا التي يتناوله من خلالها الباحثون ذوي التخصصات الأخرى، كما تختلف المنظورات باختلاف الرهانات والسياقات الزمانية والمكانية.

* فعل الاعتناق في الإسلام:

يعدد (woodberry) مختلف مراحل، الاعتناق، النموذجي كالتالي³⁶:

- المرحلة الأولى تتمثل في الهداية ثم تأتي مرحلة الإسلام وبعدها الشهادة ومن هنا يدخل المعتنق جماعة المسلمين. سيرورة الاعتناق تعتبر نسبيا غير رسمية، فيكفي النطق بالشهادتين والاعتراف "أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله" (ص) محققا بذلك أول ركن من أركان الإسلام، وبعدها على المسلم الجديد أن يقوم بالطهارة والتي تعتبر فعل تطهير روحي ومادي.

وتختلف هنا التفسيرات حول ضرورة جعل الإعلان عن هذا الاعتناق ضمن مجموعة من الشهود. وبما أن الإسلام يتأسس على علاقة مباشرة تربط العبد بربه، فإن فعل الاعتناق قد يتم ضمن بيئة أو فضاء خاص، والإعلان عنه في مسجد أو مركز إسلامي بحضور إمام ومجموعة من المسلمين، يجعل من المعتنق مؤهلا للحصول على شهادة معتنق للإسلام والتي تمكنه فيما بعد من الاستفادة من زيارة البقاع المقدسة³⁷.

ويترتب على المعتنق الجديد للإسلام مجموعة من الواجبات والفروض ويتطلب منه الوقوف عند النواهي والمحرمات والتي نص عليها القرآن والسنة النبوية الشريفة.

- من جهة أخرى فعل اعتناق الإسلام يؤدي كذلك إلى تغيير في الهوية الاجتماعية من جهة أن المعتنق سيدخل في جماعة المسلمين أو الأمة الإسلامية، ويقتضي كذلك تغيير مجموعة من المعتقدات، الممارسات، والانتماءات الجموعية واستبدالها بأخرى جديدة تتماشى مع الدين الجديد.

يعتبر "Dutton" داتون أن الإسلام أكثر من أية ديانة أخرى هو أسلوب حياة يطلب من الفرد الإلتزام بطريقة تصرف معينة وخضوع لله³⁸، فيوميات المسلم تتمثل في عبادة مستمرة لله من خلال تمثل المعتنق لقواعد السلوك المنصوص عليها في القرآن والسنة النبوية الشريفة.

ويؤكد محمد أسد على هذا المعنى اذ يقول «إن الاسلام لم يبد لي دينا بالمعنى الشائع للكلمة بمقدار ما بدا طريقة في الحياة، ولا نظاما لاهوتيا بمقدار ما تبينته منهاجا للسلوك الشخصي والاجتماعي قائما على ذكر الله»³⁹ فالدين الاسلامي طريقة حياة لا يمكن حصره في الجانب الروحي فقط كما لا يمكن حصره في الجانب المادي، فهو

يتدخل في كل صغيرة وكبيرة في إطار استسلام وخضوع كامل من العبد الى الله سبحانه وتعالى ، فلا يستطيع المسلم أن يجعل بعضا من جوانب حياته خارج مبدأ الخضوع لله ، فحياة المسلم كلها لله.

دوافع اعتناق الإسلام:

في دراسة لـ "شافيت ووايزناخ" لمواقع الدعوة والتي تنشر لمشاهديها العديد من الروايات الشخصية لمن اعتنق الإسلام استخلاصا الباحثان التالي⁴⁰:

1- يجمع هذه الروايات مفهوم العودة إلى الإسلام " : ويتركز هذا المفهوم حول فكرة أن الإنسان يولد مسلما بالفطرة، لكن الأسرة التي تولد فيها المجتمع الذي ينشأ فيه يفسدان هذه الفطرة، حيث تمثل هذه العودة إلى الحالة البشرية الأصلية ما تعني أن العودة طبيعية وليست انقلابا في حياة الإنسان.

وطبعا هذا ما يتوافق مع الحديث النبوي الشريف "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء". رواه أبو هريرة رضي الله عنه وجاء في صحيح البخاري.

2- الفراغ الروحي:

وجد " شافيت ووايزناخ" كذلك أن الفراغ الروحي لدى معتنقي الإسلام حالة متكررة ومشتركة تسبق لحظة تحولهم، كما أنهم كانوا يعيشون في شقاء وعذاب، وبعدها يأتي الإحساس بالقرب من الله وهذا الإحساس يدفعهم الى قبول الدين الجديد.

3- الشكوك حول النصرانية:

شعر معتنقو الإسلام بعدم عقلانية النصرانية كدين، خاصة عندما يتعلق الأمر بمفاهيم كالتليث والجمع بين الألوهية والكينونة البشرية، بالإضافة إلى التناقضات بين العهدين القديم والحديث.

فاعتناق الإسلام من طرف الغربيين لم يكن نتيجة فقط للخواء الروحي إنما نتيجة لإعمال العقل في مجتمع تطبع العقلانية اغلب أفعاله.

4- إدراك عقلانية الإسلام:

إن من بين أهم أسباب إقبال الغربيين على الإسلام هو اكتشافهم عدم تعارضه مع حقائق العلم الحديث.

5- الحملات المكثفة المعادية للإسلام:

إن من سخرية القدر أن تتحول الضربات المتتالية للإسلام من خلال الأحداث العنيفة التي تنسب إليه تتحول إلى محفز ودافع لكثير من الغربيين للتعرف على هذا الدين، الأمر الذي أدى إلى دخول العديد منهم في الإسلام بعد معرفتهم لسر هذا الدين العظيم.

ومن بين أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة جيرالدين موسيير والتي بينت من خلالها أهم الدوافع التي تجعل المرأة الغربية تقبل على اعتناق الديانة الإسلامية:

أ- شقاوة الأرواح:

سجلت الباحثة من خلال التجارب التي درستها المعانات الروحية الكبيرة لدى هؤلاء النسوة سواء في الكيبك أو في فرنسا من جراء العيش في عصر المادية الكثيفة والأشياء المقدسة، كما أن المعتنقات للإسلام ليست فقيرات مسكينات بدون معين بل كلهن يملكن من هذه الأشياء والأموال الكثير لكن هذا لم يغني الروح شيئا ولم يشبعها، بل قد ساهم في موتها ودفنها تحت أكوام من السلع المادية، كما استخلصت الباحثة أن لحظة اعتناق الإسلام بالنسبة للمبحوثات كانت بمثابة لحظة اعتناق من العبودية وولادة جديدة لزمان جديد وإنسان جديد بل وجسد جديد.⁴¹

ب- استعادة فطرة المرأة:

حسب الباحثة فإن السياق الأسري والاجتماعي والثقافي والسياسي الغربي يلعب دورا مهما في إقبال الغربيات على اعتناق الإسلام، حيث فقدت المرأة الغربية فطرتها الأنثوية، بسبب عملية طويلة من الاغتصاب النفسي والاجتماعي، وتغيير الخلقة وتخطيط الأسرة ومسح الأدوار، حيث تعتبر المعتنقات الجدد أن النساء في الغرب أصبحن سلعا وبضائع وأشياء، وبالتزامهن بالحجاب يشعرن⁴² بمزيد من التحرر والحرية، وبالخروج من الحلقة

المفرغة ولعبة الإثارة والإغواء المميز للمجتمعات الحديثة، ويرين أن أحسن تعبير عن الأنوثة يتم عبر الزواج والأمومة⁴³.

ولقد قدم ستيفانو اليفي مساهمة قيمة في هذا المجال حيث فسر أسباب وعوامل اعتناق الإسلام من طرف الغربيين من خلال ماتقدمه الديانة لهذا الشخص المستعد للدخول إليها من الإجابة على طلباته المتباينة، والتي نري أنها تختلف تبعا لشخصية الفرد وخلفيته السوسيوثقافية وكذا انتمائه الأيديولوجي والسياسي وقناعاته الفكرية و خبراته الواقعية.

وسنعرض هنا لبعض هذه التفسيرات كالتالي:⁴⁴

1. بساطة الإسلام وخلوه من التعقيد والغموض مثل التوحيد في مقابل التثليث في المسيحية ومعتقدات أخرى في الجماعات الدينية المختلفة.
 2. من بين مظاهر الجذب في الإسلام بالرغم من توجهه أكثر نحو الممارسة هو وجود تيار صوفي والذي لعب دورا مهما في جلب المعتنقين الغربيين للإسلام.
 3. البعد العقلاني وهو من خصائص الديانة الإسلامية والتي جلبت العديد من المثقفين على سبيل المثال المستشرقين.
 4. البحث عن إيمان واضح، بسيط، قابل للفهم، عقلائي بعيدا عن الأشياء الغريبة والمعقدة مثل التثليث، الحلول، الخ. فهو إيمان لا يجعل العقل في مواجهة شيء أكبر من إمكانياته وقدراته.
 5. بالإضافة إلى العقلانية يطرح الإسلام نفسه كديانة معتدلة، وسطية بين طرفي نقيض، فهي ديانة تقبل بسهولة من طرف الآخر.
 6. تختص الديانة الإسلامية بكونها تعرض على المعتنق إيمانا بدون وسيط والذي يسمح بالتوجه مباشرة إلى الله سبحانه وتعالى ودون الخضوع إلى أي سلطة أخرى.
- إضافة إلى هذه الأسباب المتعلقة بطبيعة الدين في حد ذاته والتي جلبت العديد من الغربيين بمختلف مستوياتهم وشرائحهم الاجتماعية إلى اعتناق الإسلام ، يقدم "اليفي" أسبابا أخرى ذات طابع اجتماعي واقتصادي وسياسي حيث يري:⁴⁵

أن اعتناق الإسلام يؤدي إلى تأسيس علاقة تتجاوز البعد الرمزي مع الجماعة المسلمة ، وبالتالي التمتع بإمكانيات هامة لاستغلال هذا السوق الجديد. وهنا يمكن الإشارة إلى الأهمية الكبيرة التي يكتسبها هذا التفاعل بين المعتنق الجديد والجماعة المسلمة المهاجرة على سبيل المثال لا الحصر، وإلى أي حد تجلب لهذا المعتنق فضاء أرحب للنشاط كما دلت على ذلك العديد من الدراسات.

ويمنح الإسلام للمعتنقين الجدد إمكانيات واسعة من أجل إضفاء الطابع الروحي على السياسة ، وإعادة هيكلة معتقداتهم السياسية داخل النظام الإسلامي ، حيث يعتبر هذا العامل نقطة جذب مثالية لأولئك المعتنقين الذين يتمتعون بتجربة سياسية ، فالإسلام يمنح مكانة دينية للفعل السياسي والفضاء العام .

من هنا نخلص إلى أن التحليل المعمق لأسباب ودوافع الاعتناق قد يقودنا إلى نماذج من المعتنقين لديهم خصائص متباينة ، ومن هنا فالديانة الأكثر قدرة على مخاطبة هذه التباينات ومنح كل واحد على حدى الامتيازات أو الإجابات التي يبحث عنها ، هي الأقدر على جلب أكبر عدد من المعتنقين ، فخصوصية العرض الذي تقدمه الديانة قد تكون حاسمة في العديد من حالات الاعتناق.

وفي هذا السياق يؤكد الباحث محمد دوله Muhammad Asin Dollah بأن عدم الرضى بالنظرة الموجودة للعالم قد تقود بعض الأفراد إلى التحول إلى دين آخر. فالاستياء قد يتولد من أسباب متنوعة مثلاً، فشل ديانة معينة بتزويد أتباعها بأجوبة أو حلول لمشاكل كبيرة في الحياة. وعلى سبيل المثال فإن التغير السريع في الحياة الاجتماعية المعاصرة يولد أسئلة كثيرة حول الحياة: مغزاها، جدواها، هدفها، وخاصة لدى بعض المتدينين. فإذا عجزت الديانة الحالية عن إعطاء أجوبة مقنعة، فالمؤمن يبقى يبحث عن الأجوبة في ديانة أخرى.⁴⁶ وقد يتطلب الأمر من الباحث عن إجابات مقنعة إلى التجوال عبر العديد من الديانات والجماعات الدينية المختلفة حتى يصل في الأخير إلى الإسلام.

- خريطة انتشار الإسلام في الدول الغربية:

الإسلام ديانة عالمية بحكم طبيعته حيث بعث للناس كافة، هذه الحقيقة يؤكدها الواقع العالمي اليوم حيث لم يعد المسلمون متواجدين في دول ذات الأغلبية المسلمة كمصر، العربية السعودية، أو أندونيسيا حيث تتواجد (جماعات) جاليات صغيرة لكنها نشطة عبر الدول الأوروبية وأمريكا وأستراليا، في الماضي كان حضور المسلمين في هذه الدول الغربية تقريبا منعدم، لكن بداية القرن 21 أصبحوا متواجدين في كبريات العواصم الغربية لندن، وباريس، شيكاغو مثل تواجدهم في اسطنبول دمشق أو جاكارطا.⁴⁷

في سنة 2015، الإسلام هو الديانة الأكثر انتشارا في أمريكا حيث يقدر عدد المعتنقين للإسلام من الأمريكيين بحوالي 1 مليون أمريكي.

حسب إحصائيات (Pew Resead Center) (P. R. C) يعرف الإسلام تزايدا بنسبة 2,9%، وهي نسبة أهم من تلك التي تخص نسبة الزيادة السكانية العالمية والتي تتزايد بنسبة 2,3% حيث تقدر نسبة زيادة المسلمين في العامل ب 35% في العشرين سنة القادمة، ودائما حسب (Pew) ويقدر عدد المسلمين ب 1,57 مليار في العالم، وهذا يمثل 22% من عدد سكان العالم وتعتبر الديانة الإسلامية ثاني الديانات بعد المسيحية بنسبة 33% من سكان العالم و (2 مليا مسيحي).

وبين تقرير لوكالة الاستعلامات الفرنسية، نشر ب (le figaro) أنه سنة 2010 بلغ عدد معتنقي الإسلام في فرنسا بين 30.000 و 50.000 شخص⁴⁸ وتعتبر الديانات الإسلامية ثاني الديانات في فرنسا.

يمثل المسلمون في المملكة المتحدة 5% من السكان، البالغون حوالي 61 مليون نسمة، وهنا كذلك عدد المعتنقين من الصعب تحديده، حيث جاء في جريدة The Independent بان عدد البريطانيين الذين اعتنقوا الإسلام تضاعف تقريبا مقارنة بالعيشية الأخيرة، بالرغم من تصاعد موجة الإسلام فويا في هذا البلد، وتأتي هذه الأرقام من دراسة قامت بها مجموعة التفكير في قضايا الديانات (Faith Matters) حيث تقترح انه في الواقع يدور هذا العدد حول حوالي 100000 معتنق مع تقريبا 5000 معتنق جديد سنويا⁴⁹.

في الولايات المتحدة الأمريكية حسب (P.R.C) من بين المسلمين الذين ولدوا خارج أمريكا أكثر قليلا من النصف هم من الأفارقة الأمريكيون (20% من المسلمين الأمريكيين) والعديد منهم معتنقون جدد للإسلام⁵⁰.

كما أكد باحثون أن في أوروبا وأستراليا من الصعب الحصول على أرقام ذات مصداقية عن العدد الحقيقي لمعتنقي الإسلام فالأرقام تقريبا غير موجودة والمتوفرة تخص المعتنقين الجدد لديانات أخرى غير الديانة الأم وليس فقط الإسلام.

ونشير هنا إلى أن العولمة قد ساهمت في زيادة عدد المسلمين وانتشار الإسلام في الغرب حيث عرفت الحدود انفتاحا مقارنة بالسابق ما سهل من جهة هجرة المسلمين إلى هذه الدول ومن جهة أخرى تعرف السكان

الأصليين لهذه الدول على الإسلام واعتناقه مما ساهم في جعل الإسلام عالمي لا تحده جغرافيا ولا جماعة اثنية أو عرقية.

وفيما يخص الخصائص الاجتماعية للمقبلين على الدين الاسلامي توصلت دراسة قام بها باحثون بسوانزي (إنجلترا) بعنوان "أقلية داخل أقلية" بينت أن ما يقرب 5200 بريطاني اعتنق الإسلام سنة 2011، حيث وصل عدد المعتنقين للإسلام في العشر سنوات الأخيرة إلى غاية 2011 إلى حوالي 100.000 ومنه تمثل الجالية المسلمة في بريطانيا العظمى حاليا ما يقارب 4 مليون ساكن، وهذا ويشير المركز الإسلامي البريطاني من جهة أخرى إلى أن عدد السكان الأصليين المعتنقين للإسلام يقدر بحوالي 250 ألف، ويعتق سنويا 25 ألف لكنهم يرتدون ويتبقى منهم 5000. ولقد بينت نفس هذه الدراسة كذلك أن 75% من المعتنقين هم من النساء بمتوسط عمر 27 سنة. كما بينت أن الغالبية الساحقة لهاته النسوة اللاتي اعتنقن الإسلام تعتقدن أن الإسلام متلائم أو متوافق مع الحياة البريطانية.

ومن هنا وبالرغم من الصورة النمطية التي ترسمها بعض وسائل الإعلام الغربية عن كون المرأة في الإسلام مضطهدة غير أن النساء هن الأكثر انجذابا نحو هذه الديانة ، وبالضبط من أجل المكانة المرموقة التي تضمنها للمرأة.

- ما بعد الاعتناق:

تنتاب مشاعر الضيق والخوف عائلات المسلمين الأوروبيين الجدد حيث يقول الأسقف جون كورتوديار، مسؤول العلاقات مع الإسلام في أسقفية: سين سان دوني بفرنسا، أن هناك ردود فعل سلبية لدى العديد من الأسر، تصل إلى حد الشعور بالخوف من أن يتحول ذلك إلى تعصب وتطرف ديني، في ضوء حالة العنف التي تحيط بالإسلام والمسلمين، إذ أن الشباب المقبل حديثا على الإسلام يكون عرضة للتأثيرات السلبية، لأنه يحاول تعلم دينه من خلال مصادر غير موثوق فيها، بعيدا عن أجواء المساجد والمراكز الإسلامية التي يكون الخطاب الديني فيها معتدلا⁵¹.

فاعتناق الإسلام كما أشرنا سابقا قد يحدث ضمن بيئة خاصة بعيدا عن تأثير المساجد أو المراكز الإسلامية الأمر الذي قد يقوده إلى التأثير ببعض الأفكار الشاذة والتي قد يحصل عليها من خلال بعض المواقع الإلكترونية أو بالتعرف على أشخاص يحملون مثل هذه الأفكار.

وفي هذا الإطار تتفق العديد من الدراسات على أهمية الدور الذي تلعبه المؤسسة الدينية كفضاء لإضفاء الشرعية، والتقنين، والتنظيم لهذا التغير مهما كانت الديانة المتحول إليها⁵²

وعند غياب هذه المؤسسات الدينية أو ضعفها، وتخليها عن لعب دورها المنوط بها، فقد تستغل العناصر المتشددة الوضعية النفسية الاجتماعية لبعض الأفراد في دول غربية حتى تتمكن من اصطيادهم وإقناعهم بأن الالتحاق بالتنظيمات المتطرفة مثل القاعدة أو داعش سوف يخلصهم من آلام الحياة الحديثة والعصرية والصعبة في آن، وأن "الجهاد" هو السبيل الوحيد للخلاص من إنهاك المنظومة الاقتصادية التي تحول حياة الفرد إلى مجرد أعمال أوتوماتيكية وروتينية يقوم بها كل يوم. والمطلوب دائما هو القيام في البداية بإثبات الولاء عبر التدين الشديد والدفاع عن داعش في وسائل التواصل الافتراضي، تمهيدا للالتحاق الفعلي ببؤر التوتر في الشرق الأوسط⁵³

غير أن هذا الأمر ليس مرتبطا بديانة بعينها بل هو ظاهرة عامة عند المتحولين الجدد إلى ديانة معينة حيث تبين موسيير في دراستها أن المتحولين الجدد للمسيحية الارثوذكسية من الكيكيين، وعلى اعتبار أن الهوية الارثوذكسية مرتبطة بوضوح بإثنية محددة وجنسية خاصة، فإنهم لا يحصلون على الشرعية في جماعة التبني أي (الذي تحولوا إليها)، إلا بالانخراط في كفاح من أجل إثبات أصالة وحقيقة إيمانهم، فلا يكفي إذن التحول أو الدخول في الجماعة، بل على المتحول الجديد أن يثبت من خلال ممارسته، ومبادئه وتصرفاته أنه «ارثوذكسي حقيقي»⁵⁴. هذا ما يحدث تماما مع المعتنقين الجدد للإسلام في الدول الغربية، حيث في سبيل إثبات حقيقة إيمانهم للجماعة الجديدة حتي يضمنوا اندماجا مثاليا داخلها، فإنهم غالبا ما يلجؤون لتفسيرات متشددة بحثا عما يرون أنه الجانب الحقيقي والنقي للإسلام، وتعزز بعض المواقع الافتراضية هذه التفسيرات لهم. على اعتبار أنهم جاؤا من ثقافة مغايرة، الأمر الذي قد يولد لديهم إحساس بالنقص من ناحية أنهم قد غيروا ديانتهم إلى ديانة غير مألوفة لهم في أوجه عديدة، مثل دخول المسجد، قضاء الوقت مع المسلمين، سماع لغة مغايرة للغتهم الأوروبية... إلخ. إن هذا التغير الكبير الذي يحدث في حياة المتحول للإسلام (تغيير الديانة إلى ديانة غير مألوفة، دخول المساجد، قضاء الوقت مع المسلمين، سماع لغة مغايرة لغتهم الأوروبية) تختلف الاستجابة له من شخص لآخر في هذه المواقف، وهنا يكمن الدور المحوري للمؤسسات الإسلامية في عدم ترك المجال مفتوحا أمام بعض الجهات التي قد تستغل فترة التحول وحالة القلق الناتجة عنها -والذي تعتبر أمرا طبيعيا في أي تحول أو تغيير يتعرض له الفرد في كل المجالات- في توجيه المعتنق الجديد نحو التطرف والانزلاق نحو العنف بتصويره لهم على أنه السبيل الوحيد لإثبات أنه «مسلم حقيقي».

وتجد هذه الآراء والتفسيرات الشاذة أرضاً خصبة في المعتنق الذي لا يعلم عن دينه الجديد إلا القليل ولا يستطيع التمييز بين الآراء الفقهية المتباينة والناجمة عن مذاهب ومدارس فقهية مختلفة، خاصة أن الخلفية السابقة له عادة تأتي من دين سابق مع نظرة ضيقة للصواب والخطأ، وغياب عائلة تدعمه في آرائه حول هذه المسائل وأنه يحصل على الآراء من كل الجهات، فغالبا ما يجد المعتنق نفسه في مأزق سواء في الأخذ برأي معتدل أم متشدد، ومع الرغبة في إثبات حقيقة إيمانه قد ينجر البعض إلى التشدد في غير موضعه.

ويُفسّر "توماس ليمان" Thomas Luckman تبني بعض المسلمين الألمان الجدّد للجهاد الإسلامي، فيقول: "إنّ الوضع يُشبه كمن يذهب إلى السوبر ماركت الذي يبيع بضائع دينيّة، فيحاول المشتري أن يوفّق بين احتياجاته القديمة ومعتنقه الجديد؛ فهؤلاء يختارون التفسيرات التي تفي باحتياجاتهم، فالذين يختارون الجهاد هم الذين يرون أنّ الإرهاب هو وسيلة لتصحيح الأخطاء التي يرونها ماثلة أمامهم".⁵⁵

غير أنه حسب د. خالد عبد المحسن، أستاذ أصول الدين والدعوة بجامعة الأزهر، فإنّ الملتحقين بتنظيم الدولة في العراق وسوريا هم أقلية مقارنة بالعدد الإجمالي للمسلمين في أوروبا، وأن إستراتيجية التنظيم سعت إلى تضخيم أعدادهم من أجل تسليط الضوء على نجاحها في استقطابهم، وهو ما أدى إلى تضليل الرأي العام وربط فكرة اعتناق الإسلام بالانتماء لتنظيم الدولة⁵⁶

كما يشير محمد العدرأوي مؤلف كتاب "من الخليج إلى الضواحي" أن اعتناق الأوروبيين للإسلام ظاهرة أكثر تنوعاً وتحدراً من أن يتم ربطها بتنظيمات أو جماعة معينة، حيث تعود للقرن التاسع عشر، حيث امتدت جسور التواصل بين الأوروبيين وسكان الدولة المستعمرة، وتواصلت في النصف الثاني من القرن العشرين، بانتشار التصوف بين الشباب الغربي بحثاً عن الإشباع الروحي.⁵⁷

ويرى "أوليفي روا" Olivier Roy في كتابه "الجهاد والموت" أن الدين ليس السبب الوحيد لانخراط الشباب الأوروبي في الحركات الجهادية حيث طرح نظرية متطورة حول دوافع انخراط الشباب الأوروبي المسلم في الحركات الجهادية الإسلامية شكك من خلالها في أن الدين والتدين هما العنصران الأساسيان والوحيدان في هذا الخيار، حيث لاحظ "روا" أن الشباب الأوروبي المسلم المرتكب للعمليات العنيفة لا يحضرون لعمليات هروبهم بعد ارتكابهم عملياتهم، وأنهم يفضلون الموت "كشهداء" على الحرب.⁵⁸

حيث يرى أن عملياتهم تختلف في هذا المجال عن عمليات المقاومين الجزائريين والفلسطينيين وغيرهم من أبناء الأجيال السابقة في الخمسينيات والستينيات وثمانينيات القرن الماضي.

كما يشير "روا" إلى أن الإسلام برغم تأييده للمقاومة في سبيل التحرير من الطغيان والدفاع عن الدين والوطن فإنه لا يشجع الإنسان المسلم على ارتكاب أي عملية متعمدا الموت مسبقا، لأن ذلك يخالف مبدأ القضاء والقدر فأمر الحياة والموت في الإسلام بيد الله وحده.

وبالتالي يرى "روا" أن هذه الظاهرة المنتشرة حاليا بين الشباب الذي يرتكب العمليات التفجيرية في أوروبا ربما هي حركة جهادية شبابية من خارج التوجه الديني، وهذه ظاهرة تواجدت لدى شباب آخرين سابقا في بلدان أخرى من العالم ولم يكن الإسلام دافعا لها بل كانت لديها دوافع أخرى (مثل حركة نمور التاميل بسيريلانكا) والتي ارتدى شبابها الأحزمة الناسفة مدركين أن مصيرهم الموت وكذلك الأمر لدى الخمير الحمر في كمبوديا وبعض المنظمات الصينية العنيفة.⁵⁹

كما أن الحلول التي تطرحها هذه المجموعات والأفراد التابعين لها شبه مستحيلة التحقيق، وفي المقابل فإن طروحات المقاومين في الثورتين الجزائرية والفلسطينية وشبهتهما ممكن تحقيقها ويسعون إلى البقاء أحياء إذا كان ذلك ممكنا.

كما يشير "روا" إلى أن هؤلاء الشباب "الجهاديين" الذين يسكن معظمهم أوروبا أو بقاعا أخرى من العالم ليسوا هم الضحايا الفعليين للممارسة القمعية ضد المسلمين.⁶⁰

خاتمة:

من خلال هذه المحاولة لمقاربة ظاهرة اعتناق الاسلام في الدول الغربية نستخلص مايلي:

- أن ظاهرة التحول الديني بصفة عامة أو اعتناق الإسلام بصفة خاصة ليست وليدة لحظة معينة بالرغم من كون بعض الأحداث قد تكون مؤثرة بصورة أكبر من غيرها حيث تعتبر نقطة التحول لدى المعتنق الجديد، غير أن الأمر يتعلق بسيرورة طويلة وإعادة هيكلة هوياتية، لا تحدث بين ليلة وضحاها، بل تستمر مع المعتنق لفترة طويلة، حيث لا يمكننا الحديث عن قبل وبعد الاعتناق ببساطة، فالعملية تتخللها عقبات وأخطاء وحتى أخطار، وقد تؤدي بالمعتنق إلى الانحراف عن التعاليم الصحيحة للدين الجديد، أو النكوص والتخلي عنه أمام غياب الدعم من

الجماعة المرجعية متمثلة في جماعة المسلمين بصفة عامة، والمراكز والمؤسسات الإسلامية والمساجد بصفة خاصة هذا من جهة، ومن جهة أخرى جماعة الانتماء، متمثلة في الأسرة والأصدقاء القدامى وكذا المجتمع الغربي بجميع مؤسساته الرسمية والمدنية، على اعتبار أن المعتنق الجديد هو ابن مجتمع غربي قبل كل شيء.

يلعب في نظرنا كلا الطرفين دورا محوريا في الحفاظ على المعتنق الجديد من الوقوع تحت تأثير أي جهة تترصد به، ففي غياب الدعم العائلي نتيجة عدم تقبل الأسرة لهذا التحول، ووردود أفعال قد لا تكون متوقعة من الأصدقاء أقلها إبداء الحيرة وطرح العديد من الأسئلة، الأمر الذي قد يعجز المسلم العادي فما بالك بالمعتنق الجديد الذي لا يملك معلومات كافية عن الدين الجديد، فيجد نفسه محصورا في الزاوية، مدفوعا إلى الانزواء القسري لتجنب الإحراج من أصدقائه، إضافة إلى هذا ما يمكن أن يتعرض له المعتنق من الوصم من طرف المجتمع، إذ يعامله باعتباره خارجا عن الجماعة، الأمر الذي قد يقوده إلى التطرف وإتباع الأفكار المتطرفة كردة فعل عن التهميش أو الاستبعاد الاجتماعي الذي تعرض له. في حين تقع على الطرف الآخر أو الجماعة المسلمة مسؤولية تأطير المعتنق حتى تحوله من حالة الضعف والنقص إلى حالة القوة والكمال، بتعويضه عما فقده سواء من ناحية شبكة علاقاته الاجتماعية بمساعدته في نسج شبكة علاقات جديدة، أو على المستوى الاقتصادي بتوفير فضاء بديل للنشاط الاقتصادي، أو على المستوى السياسي في حالة كون المعتنق ذو خلفية سياسية بتوفير أطر الممارسة السياسية ضمن الأطر القانونية للمجتمع، هذا التأطير أو المرافقة التي يحظى بها المعتنق هي الكفيلة بحمايته من كل انحراف.

ويبقى في الأخير الإشارة إلى أن اعتناق دين جديد سيرورة معقدة تتطلب من الفرد التخلي عن المعاني الدينية التي تحصل عليها في جماعة انتمائه عبر التنشئة الاجتماعية، لكي يتحول إلى أخرى يعتقد أنها قادرة على الاستجابة لتطلعاته وتلبية احتياجاته المختلفة ومن أهمها الإجابة على أسئلة الوجود ومعنى الحياة ومغزاها ومصير الإنسان بعد الموت، وغيرها من المعاني التي لا توفر إجابات مقنعة عنها إلا ديانة مصدرها هو خالق هذا الكون سبحانه وتعالى.

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية

1. أحمد إبراهيم خضر إستراتيجية المسلمين في تحويل نصارى الغرب إلى الإسلام <http://www.alukah.net/khedr/10863/22081/> تاريخ الإضافة: 2010/5/25 ميلادي
2. جبرالدين موسيير ،المعتقدات للإسلام... حكايات نساء من كندا وفرنسا، مطابع بجامعة مونتريال، كندا، ط1، 2013.
3. محمد أسد. الطريق الى مكة ،نقلا عن منير شفيق،محمد أسد من عالم الغرب الى أخوة المسلمين ومن النظرة العلمانية الى الاسلام قراءة في كتاب الطريق الى مكة،ثقافتنا للدراسات والبحوث،المجلد5،العدد 20،1431-2010،ص183-206
4. منير ناصيف ،ألفيه روا عن " الجهاد والموت" الدين ليس السبب الوحيد لانخراط الشباب الاوروبي في الحركات الجهادية ،
5. www.alquds.co.uk nov12.2016
6. مصطفى على .المعتنقون الجدد للإسلام بوابات لدخول الإرهاب إلى الغرب ، مترجم عن Things You Should Understand About Converts , Alex Arrick. [نشر في 01/04/2016، العدد: 10232، ص(13)] <http://www.alarab.co.uk/?id=76758>
7. صلاح عبد الرزاق،ظاهرة التحول الديني واعتناق الاسلام في الغرب،www.nama-center.com
8. <http://www.aljazeera.net/knowledgegate/books/2014/5/6/>
9. Lewis R. Rambo, Understanding Religious Conversion, أسباب اعتناق الإسلام في الغرب ،نقلا عن منتصر حمادة : أبا عين الباحث صلاح عبد الرزاق <http://www.hespress.com00:13> - 2012 غشت 04 السبت
10. يومية الجزائر الجديدة، ما بعد إعتناق الأوروبيين الإسلام ، الثلاثاء 25 أ ب (أغسطس) 2016 [www. Aljazeera/ djadida. Dz.](http://www.Aljazeera/djadida.Dz)

المراجع باللغة الأجنبية:

1. Aisha Stacey , La population musulmane dans le monde (partie 1 de 2):Données statistiques www.islamreligion.com/pdf/fr/the_population_of_muslims_complete_from_part_1_to_2_4394_fr.pdf, Publié le 26 Jan 2015 - Dernière mise à jour le 26 Jan 2015.
2. Brigitte.F ,Etude de la conversion religieuse , Le cas de Roger Garaudy ,2004 ,
3. Dutton, Y., 1999. « Conversion to Islam: the Qu'ranic Paradigm »in Mossiere .G . Converties à l'islam *Parcours de femmes au Québec et en France*.
4. Geovani semi , (Allievi (Stefano) ,I nuovi musulmani,I convertiti all'islam », *Archives de sciences sociales des religions* [enligne],110 avril-Juin 2000,document110-2mis en ligne le 19 àctobre 2016,URL .<http://revues.org/20501>.
5. Hervieu-Léger, Danièle, Le pèlerin et le converti. La religion en mouvement in Mossiere .G .opcit
6. [www. Aljazeera .net/Knowledge gate/books/2014/5/6](http://www.Aljazeera.net/Knowledge gate/books/2014/5/6)
7. <http://www.religionnewsblog.com/7916/europe-fears-threat-from-its-converts-to-islam> ,in Aisha Stacey,opcit.
8. <http://faith-matters.org/resources/publicationsreports/218-report-on-converts-to-islam-in-the-uk-a-minority-within-a-minority> ,in Aisha Stacey,opcit.
9. <http://pewresearch.org/assets/PDF/muslim-americans.pdf>,in Aisha Stacey,opcit.
10. Mossiere .G .La conversion religieuse .Document de travail .GRDU
11. Mossiere .G . Converties à l'islam *Parcours de femmes au Québec et en France*, PUM,2013 ,.
12. Mossière.G , «la Conversion. Retour à la l'Identité».Théologique ,Vol21,2013 .
13. Muhammad Asin Dollah (1979), The Social Psychology of Religious Conversion
14. Langewiesche, K., 1998. « Des conversions réversibles : études de cas dans le nord- ouest du Burkina Faso. *Parcours de conversion* » in Mossiere .G . Converties à l'islam *Parcours de femmes au Québec et en France*,
15. Woodberry, J. Dudley (1992) "Conversion in Islam," in H.N. Malony and S. Southard (eds) Handbook of Religious Conversion in Mossiere .G .
16. Stefano Allievi ;Pour une sociologie des conversions:Lorsque les Européens deviennent musulmans, <http://www.stefanoallievi.it/2013/08>